20050720-0001-1

«القصة مش عين الرمانة .. القصة قلوب مليانة»

لماذا كلما دق الكوز بالجرة تشتعل على «محور» الشياح ـ عين الرمانة؟ لماذا تعاند هذه المنطقة التي تقع في قلب العاصمة أو فلنقل في قلب حزام بؤسها، في الخروج من الحرب الأهلية؟ وهل السبب هو تماماً وقوعها في قلب حزام البؤس بما يعنيه ذلك من توتر الأعصاب المنهكة بالفقر والبطالة والكبت؟ أم أن الأمر أبعد وأعمق؟ وما هي الثارات المتراكمة التي تجعل المواطنين اللبنانيين في هاتين المنطقتين، وهي في الحقيقة منطقة واحدة يخترقها شارع ليس عريضاً حتى، يقفون كلّ خلف متاريسه؟ ولماذا، وخلافاً لكل نقاط التماس القديمة السيئة الذكر، فإن هذه النقطة بالذات هي التي تمتنع عن التماثل للشفاء؟

لا يمكنك أن تتخيل عبثية خط التماس بين الشياح وعين الرمانة الذي نشأت عنده الحرب الأهلية اللبنانية. كأن نشوء ما هناك، بمثابة الإصابة الأساس الملتهبة التي امتدت منها الغرغرينا الى أطراف الوطن سحابة الحرب الأهلية. وفي حين انحسرت «الالتهابات» الطائفية عن بقية الجسم، لا يزال الجرح الأصلي ينز قيحاً طائفياً، ويصيب بارتفاع «حرارة» جسم الوطن الفاقد لمناعته بفقدان مواطنيه لهويتهم المواطنية واستبدالها بهوية الطائفة.

ليل أول من أمس، تعرض محور الشياح عين الرمانة لانتكاسة أمنية خطيرة استدعت انتشار الجيش في الشوارع ليلاً. سقط عدد كبير من الجرحى بنـاهز الأربعة عشر توفي منهم لاحقاً مواطن. أما المناسبة؟ فإقرار المجلس النيابي، الذي يترأسه نبيه بري رئيس حركة أمل، لقانون العفو عن سمير جعجع قائد القوات اللبنانية الذي كان أنصاره يتظاهرون ويحتفلون ويبتهجون، تماماً كما كان قد سبق «الابتهاج» في «هاك القاطع» لدى انتخاب الرئيس بري لولاية رابعة، تؤكد بعض البافطات أنها «ستستمر حتى .. ظهور المهدي»!

وقبل الخوض في التفاصيل، عليك أولاً أن تنزع من رأسك فكرة أن تعرف من من الطرفين بدأ أولاً. وإن أكد لنا المواطنون الذين التقيناهم في الشياح بأنه «على الأقل هذه المرة»، فإن «الشباب» أي أولاد منطقتهم ليسوا هم من بدأ، فإن المواطنين الذين التقيناهم في عين الرمانة يؤكدون لنا بدورهم أن «الشباب» أي أيضاً اولاد منطقتهم، ليسوا هم من بدأ «الإشكال».

و«الإشكالات» لا تقع إلا عندما يجتاز أحد الفريقين «الخط الأزرق» لحدود منطقته الجغرافية الطائفية رافعاً علماً مختلفاً عن انتماء المنطقة أو منشداً أغانٍ من المفترض أنها وطنية، وإن كانت تقع على سامع «هاك القاطع» وقوع أزاجيز النكايات. ويؤكد لنا علي، وهو أسم مستعار لا يخفي هوية، أن الإشكالات تتكرر منذ ١٤ شباط على وقع البث المباشر من ساحة الشهداء ورياض الصلح واخواتها.

«كل سنة بتصير إشكالات» يقول علي. ويضيف «بغض النظر عن (اطلق) جعجع أو غيره. هناك إشكالات دائمة» ثم يضيف كمن يهجس بشيء يعني الشارع المسيحي ضعيف وكان يريد من يقويه، وشوية شوية عم يرجع ع الساحة». نسأله إن كان هذا الأمر يستفز «شباب أمل» فيقول «أصلاً الشباب يستفزهم أي شيء، وإذا لم يجدوا أحداً ليتشاجروا معه يتشاجرون مع أنفسهم». ثم يشرح «البطالة الفقر.. إنهم محصورون في ما يشبه الغيتو. يعني لو خرج ابن الشياح الى الخارج (بيروت) دغري بيبين». نسأله ما يعنيه بذلك ونحن ننظر الى نظاراته السوداء، يقول «أول سؤال يسألونه: أين تسكن؟ ما ان يجيب الشياح حتى تطير الوظيفة. فهناك من يعتبر ان الشياح أكثر منطقة فيها زعران». ويزيد علي أن هناك في المنطقة ثارات «شبعة ومسيحية. ثارات طائفية. المسيحيون في المناطق المسيحية أقل تعصباً من مسيحيي عين الرمانة. إذا قيلت «عندهم» كلمة سرعان ما تصل الى المعني عندنا».

في شارع أسعد الأسعد الذي يفصل بين «المتحاربين» والذي تفرش أرضه قطع الزجاج من مخلفات موقعة امس الاول، في حين تتمركز الآليات التابعة للجيش اللبناني في مختلف نقاطه الحارة، رفض الشاب الذي يعمل في أحد محلات الحلوى أن يذكر اسمه هو الآخر. «كان في أكثر من ألف شاب أمباركم بالمنطقة هون» يقول. ويضيف «يعني كل عين الرمانة كانت هنا. ولولا اللجان (الأهلية) وكشافة الرسالة (التابعة لحركة أمل) والتي كانت تجول بالميكروفونات داعية الى ضبط النفس ومطالبة الناس بالعودة الى منازلهم، كاد أمس ان يكون بداية حرب أهلية جديدة».

نسأله عن تكرار التوترات مؤخراً فيذكر انه منذ حوالى «ثلاثة أسابيع دخل شاب يحمل علم حركة أمل الى عين الرمانة وخرج منها مدمى». نسأله لماذا دخل إن كان يعلم ان هذا استفزاز؟ فيقول «لأنهم يدخلون الى هنا حاملين أعلام القوات ولا أحد يتعاطى معهم».

يتدخل صديقه الذي دلنا عليه، والذي رفض هو الآخر الإفصاح عن اسمه «تعالى بعد الظهر لكن ليس اليوم فالجيش منتشر، لتجدي مسيرات قواتية تمر من هنا». ويضيف «تكاثرت هذه الامور بعد مقتل الحريري، حصل فرز حقيقي وبدأت المشاكل». ثم يقول ان حوالى مئتي شاب وبعضهم يلبس تي شيرتات عليها الصليب (القواتي) كانوا يصرخون بهم «صرلكم حاكمينا ١٤ سنة هلق متاخذ ثارنا» وانهم سبوا الإمام علي والسيد حسن نصر الله ونبيه بري (؟!)، فرد عليهم «الشباب» (المسلمون) أن «نبيه بري هو الذي أطلق جعجع وسبوا لهم الصليب (؟!)». نسأله ان كانوا يحملون سلاحاً؟ فينفي. فنسأله كيف قتل الشباب إذاً؟ فيقول «هيدا اللي ما بعرفو».

الشاب التالي والذي لن اسمه نزار، كان درزياً أقفل محله لبيع المشروبات الروحية في عين الرمانة أمس بسبب الاحداث. يخبرنا أن المشاكل تتكرر بهذه المنطقة «فشباب الشياح يأتون الى هنا ليشربوا. وتحصل حزازات كدخول دراجة نارية الى «جوا» فيتحرش قليلاً، سرعان ما «يأكل قتلة» فيستنجد بالشباب فيعودون معه ليعملوا مشكل..الخ». ثم يقول «القصة هون إسلام ومسيحية، هذه النقطة «كثير زنخة». ولا شك ان «الطفر» أساسي. لكن هناك حقداً متراكماً بين الاثنين». ويضيف «المشكل الذي حصل امس (الاول) كان بين شباب لا يتجاوز أكبرهم الخامسة والعشرين. فريحات. السياسة حجة، الطائفية هي السبب». لكن هل العلاقات مقطوعة بين الجانبين؟ يقول «هناك تزاور .. لكن».

يتدخل رجل خمسيني كان يقف في الكاراج المجاور. يقول «عفوا لكن هنا حيث نقف تجدين من كل الطوائف: درزي وشيعي وماروني وسني. أنا أقول ان السبب انه هنا، (في عين الرمانة) هناك حرية، وهناك (في الشياح) يوجد غبن». أما كيف ذلك؟ فيقول «خلينا صريحين. هنا (عين الرمانة) البنت تخرج مع الشاب علناً وهناك مشروب، وهناك (الشياح) يهربون الى المنطقة هنا حتى يشربوا بعض البيرة. هناك نوع من غيرة. تحصل حزازات. وكما يقول المثل: مش عين الرمانة.. قلوب مليانة. ومن ١٤ شباط حتى اليوم تجمعت ثارات على امتداد البث المباشر لكل المناسبات الوطنية. وحصلت مشاكل لم تعالج بالاساس. على المعالجة أن تكون على مستوى الكبار: مشايخ وخورانة». والدولة؟ يقول «الدولة شو بدها تعالج؟ الدولة تقبض على المتورط في المشكل وتضعه في الحبس. هل تخضعه لغسيل دماغ وطني؟ نحن جيل الحريري اليوم نحترم الآراء. عادي. لكن الجيل الجديد لا يرد علينا. بين المدرسة والبيت والتنشئة المدنية الوطنية نحصل على جيل صالح». ثم يقول لنا انه يسكن في عين الرمانة منذ طفولته. ويقترح أن تقوم الفعاليات بمهرجان مشترك ليتعرف شباب المنطقتين على بعضهم. ويختم «سيكتشف الشباب عندها أن علي «خواجا»، وأن ريتا، التي تمشي في عين الرمانة وسرتها مكشوفة، ليست لكل الناس».

في شارع الشهداء، حيث كان التجمع الاحتفالي أمس بإطلاق جعجع، تلتقي مجموعة من الشباب. وبالطبع، يرفض الجميع الإدلاء بأسمائهم. يخبروننا أنهم كانوا يحتفلون «على الطريقة اللبنانية» ويشربون ويرقصون، حتى صار «بالمختصر المفيد زناخة من جوا». أما تعريف الزناخة فليس «مسبة بس. يعني مرور شخص يرفع علم حزب الله أو أمل، يعتبر استفزازاً». ويضيف «هل حصل مرة ان قاموا باحتفال واختر قناه بأعلامنا؟» تقول له «انهم» يؤكدون ذلك. فيرد «أبداً. منتحدى».

«لماذا تقع المشاكل الطائفية دائماً هنا؟» يرد أحد الشباب «مش سامعة عن عين الرمانة؟ خبرها». متوجهاً الى الرجل الأربعيني العامل في نجارة الموبيليا. يقول «طوني» وهو أشترك في الحرب، ان «عين الرمانة مثل كل المناطق دفعت ثمناً غالياً. وكما الجميع كان كل محارب بظن أن قضيته هي الصحيحة، وكان اسم هذه المنطقة قلعة الصمود، وكانت دائما ساخنة بالأحداث ومعروفة. هناك جيل جديد من هنا وهناك، يسمعون بالحرب وينقلعون بطريقة خاطئة. نحن، وعينا لنفسنا ولو عاد التاريخ الى الخلف لما كنا لنعيد أخطاءنا. لكن الجيل الجديد مقهور كأننا ذهبنا الى حفلة ولم نأخذهم معنا: انو شو صار بهالحفلة؟ يريدون أن يعيشوا الحرب بطريقة غلط، فيورطونا». لكن ما هو المغري في الحرب؟ يقول «الإنسان ميال الى الشر والطائفية ما زالت مزروعة في النفوس، الحق على المسؤولين الذين لا يعرفون كيف يقومون بمصالحة حقيقية. أنا لدي اقتراح: ان يأتي رؤساء الأديان والطوائف، فيجمعوا شباب المسيحية والإسلام بالكنيسة يوم، وفي المسجد يوم، لكي يعتادوا رؤية بعضهم فيفهموا أنهم ليسوا أعداء لهذه الدرجة». ويردف «لا أندية رياضية، لا نوادي نشاطات ترفيهية لتلم الشباب من الشوارع وتوجه طاقتهم، بدلا من تسليتهم بالتضارب والصراع على من هو الأقوى».

ولا ينفي جان أن اختلاف العادات الاجتماعية التي تتيح حرية أكبر للشاب المسيحي، قد يكون خلف تراكم الغيرة «مع احترامنا لهم». ثم يردف «يمكن يكون عندهم مثقفون أكثر منا، ويمكن أن بيتهم لها عادات مختلفة وهذا شيء يخصهم. لكن حين يأتون الى هنا ويرون البنات يحسون بنقص معين ربما». ثم يقول «انهم» يأتون الى المحلات التي تبيع مشروبات روحية «تجديهم كل عشرة أمام محل أو بالسيارة. يضعون الويسكي بكيس أسود ويسكرون هنا، وإن مرت فتاة، وكلهن اخواتنا وبناتنا، فلا أقبل أن أسمع كلاماً بذيئاً عن «صدرها» وأنظر فأجد أنها أختي».

أما الحل؟ فبقاء حاجز للجيش بين المنطقتين ولو لفترة «حتى أللّه يديرها» كما يقول «طوني»، الذي لا يفوت المناسبة ليتأسف على ما حدث ويعزي بالقتلى ويتمنى الشفاء العاجل للمصابين.

ضحى شمس

بيان باسم «أهالي الشياح» يحمّل «القوات» المسؤولية

صدر بيان امس باسم «أهالي الشياح في الضاحية الجنوبية» حول الإشكال الذي وقع ليل أمس الأول وأدّى إلى سقوط قتيل هو بلال سيف الدين وعدد من الجرحى من حركة «أمل» حمّل فيه مسؤولية ما حصل لـ«القوات اللبنانية».

وجاء في البيان أن «الإشكال نتج من الاستفزاز الذي قامت به مجموعات من عناصر «القوات اللبنانية» في محلة عين الرمانة بإطلاق الأسهم النارية وإلقاء الحجارة في اتجاه أحياء الشياح ونزول بعض هذه العناصر الى الطريق العام (طريق صيدا القديمة) لقطعه، وترافق ذلك مع إطلاق رصاص من هذه العناصر في اتجاه الأحياء الداخلية، مما تسبب في سقوط الضحايا التي يظهر بوضوح انها من طرف واحد».

ورأى أن «ما حدث ليل أمس يستدعي تشكيل لجنة تحقيق وفتح تحقيق جدي ومسؤول وفوري لتبيان الحقائق ووضعها أمام الرأي العام حفاظاً على أرواح المواطنين وحياتهم وأرزاقهم»، مشيراً الى ان «أهالي الضحايا البريئة التي سقطت امس (الأول) يطالبون الدولة اللبنانية والجهات الأمنية بكشف ما حدث وتحديد المسؤوليات ومعاقبة الجناة، الى اي جهة انتموا، اذ لا يجوز ان تبقى حياة الناس مهدّدة وارزاقهم مستباحة بسبب هذه الممارسات».

وأعرب تيار «القوات اللبنانية» في بيان وزّعه عن «الأسف الشديد للأحداث التي حصلت في منطقة عين الرمانة» مشيراً إلى انه لا علاقة له بها «ومكرراً في الوقت نفسه دعوة جميع الرفاق والمناصرين إلى التزام أقصى درجات الوعي والهدوء في التعبير عن الفرح بإقرار قانون العفو لمنع المصطادين في الماء العكر من افتعال إشكالات جانبية او استغلالها كما يتناقض والمناخ الوطني الذي عبر عنه الموقف شبه الجامع لمجلس النواب».

وحذّر النائب الأسبق صلاح الحركة في بيان صادر عنه، من «الاجواء المشحونة» التي ظهرت في هذا الإشكال وطالب «القيادات السياسية والأمنية المعنية تحمل كامل مسؤولياتها وأخذ كل الخطوات الاستباقية اللازمة لمنع الاخلال بالامن ومعاقبة المرتكبين».

واستنكر المسؤول في التيار «الوطني الحر» رمزي كنج «بشدّة التصرفات المهجّية لخلفاء الخيار السياسي الذين اجتمعوا في الأمس القريب على خيارات واحدة ونظرة واحدة نحو المستقبل وتعانقوا سوياً في أبهى حلة»، داعياً الاهالي إلى «عدم التأثر بما حصل من أطراف إذا اتفقت مع بعضها قضت على الرأي الحر وإذا اختلفت مع بعضها قضت على الأحرار وعلى ممتلكات العزل والمسالمين».

واستنكر رئيس بلدية الشياح ادمون غاريوس هذا الإشكال وأمل في بيان وزّعه، أمس، «من الجميع التحلي بأقصى درجات ضبط النفس»، داعياً «القوى الأمنية الى الإمساك بزمام الامور»، وقال إن «البلدية عملت ولا تزال من أجل المصالحة والوفاق بين الجميع وهي مع المخلصين من الفاعليات كافة، حريصة على جمع الشمل ونبذ التفرقة وهي ليست في أي شكل من الأشكال مع طرف دون آخر وتدخلها بين المتشاجرين كان فقط للتهدئة». وقدّم تعازيه الى أهالي الضحايا، متمنياً للجرحى الشفاء العاجل.

عناصر من الجيش وأعلام لـ«القوات» وصورة لعون قبالة الشياح (علي علوش)